تعارض استئناف المفاوضات مع سورية ودعت لمعالجة «برميل البارود الذي نجلس عليه وهو القضية الفلسطينية»

وزيرة الخارجية الاسرائيلية: علينا التعاون مع التحالف السني.. ولدينا مصالح مشتركة مع الحكومة اللبنانية والرئيس عباس والانظمة في مصر والاردن والامارات والسعودية

تسيبي لفني

■ ايهود اولمرت كرس يوم الثلاثاء من هذا الاسبوع للمشاركة في يوم دراسي حول العلاقة مع الجمهور الديني ـ الوطني.

هذا اليوم كان قد ولد في نيسان (ابريل) الماضي عندما كانت خطة الانطواء على جدول اعمال اولمرت. تلك الخطة تلاشت الآن ولم يتبق غير هذا اليوم الدراسي المرتبط فيها.

المشاركون في اللقاء لمسوا الاهتمام العالي الذي يوليه اولمرت لهم ولادعاءاتهم. وقال أنه يشعر بود وقرب خاص من هذا الجمهور. مع ذلك قال لهم ان الشعور بالغضب (من خطته) لا يقتصر عليهم بل انه يشمل ايضا اولئك الذين يرسلون للمناطق رغم وجهة نظرهم المعارضة لذلك.

تسيبي لفني لم تكن هناك. هي لم تدع لذلك اللقاء. وحتى لو جاءت لكانت لتصرح بأمور اخرى مغايرة تماما لتلك التي تفوه بها اولمرت. موقفها من المستوطنين بارد ومتشدد «ليست هناك فجوات حقيقية في الجهاز السياسي الاسرائيلي بصدد الحل الشامل للصراع مع الفلسطينيين»، قالت لفني في هذا الاسبوع. «كلهم يفكرون بنفس الحل تقريبا، ولكن الجدل قائم بين الجمهور العقائدي وباقي قطاعات الشعب».

«الجمهور العقائدي يعتقد أن الوقت يصب في مصلحته، كل يوم يمر من دون اخلاء يعتبر انتصارا بالنسبة لهم. هم يوطدون سيطرتهم في المناطق ويصعبون عملية الانسحاب. الجمهور الاسرائيلي يدرك أن الوقت يصب ضد مصلحتنا. هناك تراجع في صورة اسرائيل في العالم وفي مكانتها كدولة قومية».

«مستقبل المستوطنات»، قالت لفني «ليس قضية تخص من يقطن فيها وانما هي قضية تعود لمواطني دولة اسرائيل كلهم. على الحكومة المنتخبة ان تحدد المستوطنات التي ستخليها وليس المواطنين».

سألت لفني عن عزم هذه الحكومة على اخلاء البؤر الاستيطانية كما كانت قد صرحت في بداية عهدها. لفني ردت بأنها تعتقد أن اخلاء البؤر الاستيطانية يجب أن يتم اليوم وغدا. «هذه ليست هدية أقدمها للفلسطينيين، صحيح أن عدم اخلائها يتسبب بضرر كبير لمكانة اسرائيل الدولية، إلا أن المنطلق هنا هو مصلحة اسرائيل في مثل هذه الخطوة. أولا لأن البؤر الاستيطانية قد أقيمت خلافا لموقف الحكومة، وبعض هذه المستوطنات قد انشىء خلافا لارادة الحكومة ولموقف مجلس المستوطنات نفسه. وثانيا لأن هذه الاماكن لن تكون بيد اسرائيل على المدى البعيد ولا توجد أي جدوى من مواصلة الاحتفاظ بها. يقولون لي ان الحرب قد انتهت وان الجمهور بحاجة الى الراحة الآن، أنا لا أستخف بهذه الرغبة، ولكن لا يمكن أن تتحول الراحة الى سياسة. الهدوء الذي لا يقوم على الاجماع الاجتماعي الحقيقي سرعان ما ينفجر».

■ ما هو رأيك باختفاء خطة الانطواء؟

■ كلمة انطواء ليست مذكورة في برنامج كديما السياسي الذي قمت أنا بتدوينه، وكلمة انطواء هي مربع فارغ من دون مضمون، أنا لست من ابتدعها، ولم أشارك في الاحتفالات البهيجة بقدومها، وغير مشاركة الآن في احتفالات دفنها.

لفني تدعي انها لم تُقسم بقسم الولاء ولا مرة للسياسة أحادية الجانب. «قلت في السابق ايضا أننا لا نملك خيار القاء المفاتيح وراء الجدار والمغادرة».

سياسيون اسرائيليون وعلى رأسهم بنيامين نتنياهو خرجوا من حرب لبنان، ومن صواريخ القسام في غزة مع استنتاجين اثنين: الاول أن من المحظور مغادرة المناطق التي تسيطر عليها اسرائيل. والثاني ان من المحظور عليها ان تقدم على خطوات أحادية الجانب.

«هذا سطحي»، تقول لفني، «أولا لم ينو أي اسرائيلي البقاء في لبنان الى الأبد، وثانيا لأن من الممكن خرق الاتفاق الذي لا يوفر الأمن».

استخلاصها من الحرب مغاير تماما. اسرائيل لا تستطيع حل مشاكلها في المنطقة من خلال الاعمال العسكرية فقط. عليها ان تتعاون مع الحكومات العربية التي تملك معها مصالح مشتركة. هذه الحكومات أصبحت تدرك أن اسرائيل ليست الأزعر الذي يعربد في الحارة ويريد السيطرة على كل الارض، وانما ذلك الراشد الآخر.

النبأ الجيد هو ان هذه الحكومات موجودة في المنطقة. حكومة فؤاد السنيورة، رئاسة أبو مازن، النظامان المصري والاردني، دول الخليج، السعودية. على اسرائيل أن تتعاون مع الائتلاف السني، وليس بامكانها أن تكتفي بتحالفها مع واشنطن. عليها ان تتفاوض مع الرباعية ومع الامم المتحدة. المسألة لم تعد كما كان يُقال: اسرائيل في مواجهة العالم كله.

«وضعنا اليوم أفضل مما كان عليه في الثاني عشر من تموز (يوليو)، هناك قوات دولية وقوات حكومية لبنانية في الجنوب، وارسال السلاح لحزب الله لم يعد مسألة شرعية. خلال اندلاع الحرب سألت عما يمكن للعملية العسكرية أن تحققه. وفي هذه النقطة أدركوا الفكرة وهي أن الامور لا تحسم من خلال المعارك فقط. بعد لبنان ساد ادراك أن الشأن السياسي لا يأتي بعد المعارك وانما مع بدايتها».

لفني عقدت الخميس نقاشا داخليا في ديوانها حول قضية اللاجئين الفلسطينيين. هذه القضية ملحة بالنسبة لها. قبل ذلك دعت يورام توربوفيتش وشالوم ترجمان، مستشاري اولمرت المقربين، الى نقاش منفرد حول المبادرات السياسية. «العالم لا يحتمل الفراغ في الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي»، تقول لفني، «وعندما لا نبادر الى الحلول يأتينا العالم مع حلوله هو، وباعتباري محامية أفضل إرسال الاتفاقية التي أكتبها للطرف الآخر وعدم انتظار قيامه هو بذلك».

لفني تقول ان الحكومة ليست هدفا وانما وسيلة. ولم يتم انتخابنا من اجل البقاء. عندما كانت في الاسبوع الماضي في الجمعية العمومية للامم المتحدة في نيويورك، قالت لكل وزير خارجية قابلته، بما في ذلك عشرة من الدول العربية والاسلامية، بأن الوقت قد حان لحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، وهذا الحل سيتوفر من خلال الدولة الفلسطينية والدول المستضيفة وليس من خلال اسرائيل. «من المحظور مواصلة إبقائهم في أحلام وهمية، والعالم مستعد لاستثمار اموال كثيرة في حل عملي للمشكلة، فقد آن الأوان للبدء في ذلك».

«الشعار الاسرائيلي كان دائما: اللاجئون لن يعودوا الينا. وأنا بدوري حولت هذا الشعار الى شعار ايجابي على النحو التالي: المساهمة الاسرائيلية في حل المشكلة تكمن في موافقتها على اقامة الدولة الفلسطينية. الآن يوجد مناخ ملائم لذلك. المبادرة السعودية تنهض من جديد، وعندما أعلن عن المبادرة الأصلية في السابق قلت بأن علينا أن نتعامل معها باهتمام. ليس من الممكن الوصول الى نهاية الصراع، ليس مع القيادة الفلسطينية الحالية. على المدى القصير أرغب في تقليص مسؤولية اسرائيل التي يسمونها الاحتلال. أنا أريد فتح غزة على العالم الخارجي من قيود أمنية، وأريد سحب أكبر عدد ممكن من الجيش من المناطق. أنا أريد أن أعزز الأطراف المعتدلة في السلطة الفلسطينية التي تتجسد الآن في أبو مازن ومؤسسة الرئاسة. علاقة اسرائيل اليوم مع أبو مازن جيدة خلافا للماضي. الرئيس الفلسطيني كان مسرورا للقائه معي في نيويورك، وقد قام بتأخير لقائه مع اولمرت لأنه عرف أنه لا يستطيع اطلاق سراح السجناء طالما بقي شليط أسيرا».

بعد أن يتم ترتيب اطلاق سراح شليط ستؤيد لفني عملية اطلاق سخية للسجناء الفلسطينيين. هي لا تتحدث عن لفتة لمرة واحدة، وانما عن عملية متواصلة مستمرة. «هذه المسألة لا يمكن أن تنتهي بقافلة من الباصات»، تقول.

لفني تعارض استئناف المفاوضات مع سورية، «برميل البارود الذي نجلس عليه هو القضية الفلسطينية. وهذا ما يتوجب معالجته، الخروج الى أروقة جديدة قد يتضرر، هذا خطير ايضا لأن الاحباط الفلسطيني يؤدي الى الارهاب. عدا عن ذلك يتوجب على سورية أن توقف دعمها للارهاب قبل أن نبدأ بالتفاوض معها، أوامر عدم اطلاق سراح شليط تخرج من دمشق».

لفني ترفض الدخول في نقاش حول القرارات التي اتخذت خلال الحرب، وهي تترك ذلك للجنة تقصي الحقائق. سألتها حول استنتاج واحد من هذه الحرب. هل يتوجب أن يكون رئيس الوزراء ووزير الدفاع في اسرائيل صاحبي تجربة في المجال العسكري؟.

«لا»، ردت لفني بحزم. «على رئيس الوزراء أن يعرف كيف يطرح الاسئلة الصحيحة. عليه أن يتحلى بالمنطق السليم».

أجرى المقابلة: ناحوم برنياع
محلل رئيسي للصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/9/29

علاقاتنا بدول الخليج تتطور.. والامير بندر التقى مع العديد من المسؤولين الاسرائيليين على مختلف المستويات

الموقف السوري تجاه تل ابيب تغير بعد الحرب اللبنانية.. والاسد يعتقد ان الظروف تمكنه من التهديد بتفجير الشرق الاوسط

■ «هضبة الجولان»، هكذا قال ايهود اولمرت هذا الاسبوع وأضاف «ستبقى في أيدينا الى الأبد». كلام قيل بطريقة توحي بدرجة عالية من المسؤولية والقيادة الجدية. وعندما تتراكم المعلومات الواردة التي تشير الى النوايا السورية على الحرب فوق مكتبه، وأن كل من له عينان في رأسه يرى أن السوريين، ولاول مرة بعد مرور سنوات وأجيال، عادوا لفحص الخيار العسكري كامكانية، وعندما تصعد كل هذه المعلومات كالصرخات الى السماء وهي ترجو التوصل الى تسوية، فان رئيس الوزراء يفضل اللجوء الى استخدام اللسان واللغة الحادة ردا عليه.

اولمرت، الذي يجب أن يكون الأكبر والمسؤول عندنا، فانه يتصرف كولد يقوم بغرس أصابعه في عيون الكبار. فبعد الحرب مع سورية (وندعو الله أن لا تندلع)، فان اولمرت «نفسه» لن يتمكن من منع تشكيل لجنة تحقيق رسمية. وهناك، أمام رئيس اللجنة، ومراقب الدولة القاضي المتقاعد فان هذه الاقوال التي تصدر عن اولمرت ستوضع أمامهم قبل كل شيء. فما الذي أراد أن يحققه بواسطة هذه الاقوال؟ وأي ثراء سياسي أراد أن يحقق منها؟ فهل هو يسرق نظره باتجاه ناخبي الليكود.. مثلا؟ وهل يتوقع ان يجرف إليه مؤيدي وأنصار ايفي ايتام؟ أليس من الأفضل أن يعيد أنصار كديما أولا؟ وأن يمنع قوع الحرب القادمة؟ فحتى لو كنت معارضا جديا للتخلي عن هضبة الجولان (وهذا حق لكل واحد) فلماذا يجب أن تزود السوريين بالتبرير والتفسير الواضحين بأنه لا داعي ولا سبب يدفعهم الى الانتظار؟.

ان السماء تبدو مليئة بالغيوم المتكدرة، واصوات طبول الحرب بدأت تُسمع في خلفية الصورة. ولكن رئيس حكومة اسرائيل الذي يتحدث عن «هضبة الجولان» وتحدث عن دولة يطيب العيش فيها، وعن طراز جيد وحديث لطبيعة الحياة فيها، أنه يعزف للحرب بدلا من إشعار مواطنيه بالأمن، هكذا تسمع ولا تصدق!.

«ان السوريين في أعقاب الحرب اللبنانية الثانية ليسوا هم السوريين ما قبل تلك الحرب»، هكذا يقول كبار ضباط المؤسسة العسكرية في اسرائيل. والشيطان، كما يقولون في الجيش الاسرائيلي، وصلت الامور عندهم الى رؤوسهم، يقولون ويفهمون ماذا يقولون، رغم تلك السوائل التي تسيل من الرؤوس وأخذت تعلو وتغرق موقع الأقدام، لأن السوريين كونوا فكرة جديدة عن هذا الجيش بأنه جيش سمين، قليل الحركة ويمكن وصفه بـ «العتيق» غير المتجدد.

طاقة سلبية تنفجر

حالة الاستعداد التي أعلنتها سورية إبان الحرب اللبنانية الأخيرة تضمنت روح الحياة والمعنوية العالية في جيشها. فكل شيء تحرك فجأة، واستعد، وعاد الى الشباب. طاقة تتفجر في الأجواء. وبركان أخذ يتحرك لينفجر. طاقة سلبية، القيادة السورية لم تعد مقتنعة أن حربا مع اسرائيل ستؤدي الى انهيار شامل وفوري، وعليه، فانها توجه وبصوت مرتفع نحو الخيار العسكري، وأن ما يحصل في القيادة العسكرية السورية بات مقلقا، لأن الفكرة والوجهة قد تغيرت.

الجنرالات يخرجون من تلك الاستحكامات القديمة، ويحاولون التخلص من تلك الاحباطات القديمة. فلم يعودوا خائفين. فجأة أصبحوا يرون نصف الكأس المليئة. وان المدفعية السورية افضل بكثير، وكذلك فرق الكوماندو المدربة جيدا، وذات المعنويات العالية جدا، والى جانب هذا كله، شبكة بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات المنتظرة، وشبكة صواريخ سكاد الضخمة (بما فيها الكيماوية).

كل هذا أخذ يتحرك، تحرك واحتشد استعدادا لحركة مصيرية، والذي ما يزال يعيقها هو ان المعرفة السورية، على خلاف اللبنانية، فان الجيش الاسرائيلي سيهاجم هذه المرة كل البنية التحتية في سورية، بقوة وخلال ايام، يومين على الأكثر، فلن تكون لدى سورية كهرباء، ولا طرق، ولا مناطق تخزين للوقود التي ستشتعل، والدولة ستخرب. ومن الناحية الاخرى، فان كل هذا يمكن اصلاحه فيما بعد، اذا عادت هضبة الجولان، فان هذا الثمن لا يكون هباء أو غير مستحق للتضحية. وهنا، ماذا سيكون في أعقاب حرب مع سورية؟ سيكون السلام. اسرائيل تفهم، وكما تفهم دائما وباستمرار، أنه أفضل لها سلام بدون هضبة الجولان على حرب مع هضبة الجولان. وان كل ما كان سيحدث مع اسحق رابين، بيريس، نتنياهو، باراك، شارون واولمرت دون ضحايا، سيحدث الآن بعد سقوط مئات الضحايا، خسارة.

قادة الجيش الاسرائيلي يتحدثون الآن عن الحاجة الى تغيير النظرية الاستخبارية العسكرية بالسرعة الممكنة بالنسبة الى سورية، وأن يتم تحديثها بخطوات استعدادية، وعملية فورية. بما في ذلك زيادة كبيرة لعملية «نشر القوات» العسكرية، بما في ذلك التدريبات اللازمة، لأن مفاجأة واحدة أمام حزب الله تكفينا.

برؤية عسكرية فان الفشل الاسرائيلي في كل ما له علاقة بسورية، هو من الحجم الأكبر والأكثر مأساوية منذ قيام الدولة. وحول فرصة باراك عام 2000 كتب الشيء الكثير حتى الآن، ولكن ذروة ذلك كانت لدى شارون عام 2003 عندما شعر بشار الأسد بالخوف لدى بداية الغزو الامريكي للعراق (وقبل أن تعرف حجم الكارثة التي ستقع فيها امريكا في هذه الغزوة)، فقد أرسل شقيقه (الأسد) لاجراء محادثات سرية مع الاسرائيليين في الاردن، بمن فيهم ايتان بن تسور، مدير مكتب وزارة الخارجية الأسبق، وكان يمكن في ذلك الوقت إتمام صفقة سياسية مع سورية، بثمن معقول، وكان يمكن وقتها الابقاء على خط التماس مع شمال المنطقة في أيدينا. لكننا لم نفعل.

الأسد كان مستعدا للقدوم الى القدس (طلب ضمانة 20 مليون دولار). شارون؟ لم يُرد أن يسمع ذلك. ونتيجة لشعوره بالفخر الامريكي المتصاعد آنذاك، فضل أن يتجاهل الموضوع. إلا أنه، في نفس الفترة، عاد رون لاودر، الذي أجرى محادثات واتصالات مع السوريين بعد أن أوفده نتنياهو، وحاول اصلاح الوضع. إلا أن لاودر، وهذا لم ينشر بعد، أحضر معه علامات ورسالة واضحة من دمشق الى شارون، إلا أن رئيس الحكومة لم يرغب مطلقا بعقد لقاء أو سماع هذه الأحاديث.

يجب أن نقول الحقيقة: اسرائيل ليست معنية مطلقا باعادة هضبة الجولان. فلماذا تكون معنية بذلك؟ ليست هناك أي حرب. هناك هدوء تام. ونحن هنا، فلماذا نعيد أي شيء لهم (اذا لم تكن هناك حاجة أو ضغط)، فاذا لم يُرغمونا على ذلك فلن تكون هناك حكومة في اسرائيل تجرؤ على القول أنه ليس هناك ما يرغمها على اعادة أي شيء ـ اذا لم تكن هناك حرب ـ ولهذا تتململ الحكومات ولا تواجه الواقع، الأمر الذي يدفع بالسوريين بعد أن فهموا هذه المعادلة الاسرائيلية للتفكير بضرورة إحداث هذا الضغط طالما أن العالم من جانبه ايضا صامت ولا يبدي أي تحرك.

وبشار الأسد، من ناحيته، راهن على الورقة الرابحة. والآن فانه بدأ يحصد النتيجة. الآن، طالما أنه يوجد ارهاب في لبنان وبمعدلات كبيرة، وفي سورية تتراكم التهديدات باستخدام الصواريخ الضخمة والبعيدة المدى، وفي ايران تتجسد القوة النووية الى جانب جيش قوي وكبير وقدرة صاروخية ما بين القارات، كل هذا، يعتقد الأسد، بأنه يعمل لصالحه ويمكن بواسطته أن يهدد بتفجير الشرق الاوسط في حرب فجائية جديدة، وأن العالم سينظر الى الموضوع على أنه «تخليص سورية من محور الشر»، اذا لم يكن هناك نية بخلاصها دون هذه الحرب، فهي ستفعل ذلك وتُخلص هي بدورها اسرائيل من محور الغباء وقصر النظر.

حاليا ارتفع كثيرا الثمن الذي تطالب به سورية. الآن هم يطالبون، بالاضافة الى هضبة الجولان، ببطاقة عودة الى لبنان والتخلي عن الاستمرار في التحقيق في مقتل الحريري. وعلى ذلك فان الامريكيين والفرنسيين لا يمكنهم الاستماع لهذه المطالب. واسرائيل بهذا وقعت في مصيدة. ففي هذه اللحظة المطلوب هو زعامة حقيقية. وبذلك يجب على ايهود اولمرت أن ينهض، وأن يسافر الى واشنطن، وأن يجلس مع كوندوليزا رايس، ومع ستيف هدلي، ومع جورج بوش في النهاية وأن يقنعهم بالأمر. فكما كان شارون يستطيع اقناعهم، وآخر شيء كان في خطة الانفصال في غزة. فمن حيث القيادة والزعامة فان اولمرت فشل فشلا ذريعا على كل الصعد، فكيف ينجح؟ اذا لم يستطع في داخل كديما نفسه أن يوجه هذا الحزب لما يريد؟ وكيف يعالج هذا الأسد في دمشق، اذا كان هذا الأسد أخذ يقف كقائد جريء وناجح ومن الصعب أن يكبحه أحد؟. في الاتحاد الاوروبي، باستثناء المعارضة الفرنسية، ينظرون الى المسار السوري بنوع من الأمل. وفي جلسة عُقدت مؤخرا في الاتحاد الاوروبي في بروكسل دارت أحاديث ونقاشات في الاسبوع الأخير من شهر آب (اغسطس) الماضي حيث طرحت فيها الاحتمالات والامكانات للبدء في مفاوضات سياسية بين اسرائيل وسورية.

«للنزاع في المنطقة يوجد اتجاهان مصيريان»، هكذا طُرح خلال ذلك الاجتماع، «اسرائيل وسورية». هكذا تحدث أحد الخبراء في الموضوع قائلا: «ان الرئيس بوش يتوجه الى تأجيل استئناف المفاوضات في هذا المسار، لكن اذا كان اولمرت يريد أن يُخلص نفسه، فان اولمرت يحتاج الى هذا المسار وبسرعة. ولكي يتمكن اولمرت من اقناع بوش، يجب عليه قبل كل شيء أن يقنع نفسه، وبذلك فمن يستطيع أن يقنع نفس اولمرت؟».

وهناك حدث أمر بالغ الأهمية: أحدهم اقترح أن يكون مارتن شلاف، وهو رجل اعمال نمساوي، سبق وأن أجرى اتصالات سرية كثيرة بين اسرائيل وعدد من الدول العربية (رغم أنه لم يزر اسرائيل لهذا الغرض)، والمعروف بعلاقاته المتشعبة مع أصحاب القرار في اسرائيل، فان الاتحاد الاوروبي أشار الى امكانية ايفاده مرة اخرى في عملية لجس النبض في هذا الموضوع، «لقد التقيت مع شلاف قبل يومين فقط»، هكذا تحدثت احدى الشخصيات في ذلك الاجتماع، «وسأحاول اقناعه مرة اخرى بالمهمة».

الاجتماع بينهم جرى يوم الاثنين الرابع من شهر ايلول (سبتمبر) الحالي. لكن شلاف ـ كما يبدو ـ ليس مقتنعا بالنتيجة. فمن المهم جدا أنه حاول اقناع اولمرت. إلا أن المتحدثة سارعت الى الاعلان: لقد جرى الاجتماع فعلا بين شلاف واولمرت ولكن الصفقة في هذه المسألة لم تتم وبقيت رهن اختلال.

اللقاء الذي لم يحدث

يوم الاثنين من الاسبوع الماضي كان يوما شهد حدثا انقلابيا جديدا. بدأ ذلك اليوم بالاستماع الى صوت مرتفع وبلغة ظن قائلها أنها لغة تاريخية عندما تحدث أحدهم عن اللقاء ما بين رئيس الحكومة وبين الملك السعودي (الذي لم يتم)، ثم انتهى ذلك الصوت المرتفع بصوت هامس بأن رئيس الوزراء التقى مع مراقب الدولة (والذي حدث فعلا). والآن يمكن القول بصورة مؤكدة أنه في نهاية هذه الاجتماعات فان اولمرت لم يرَ الملك السعودي، وكذلك ولي العهد، ولا أي مسؤول سعودي آخر، والأمل بشق طريق «تاريخي» كان سابقا لأوانه. رئيس الوزراء طار سرا الى الاردن والتقى هناك فعلا، وبدعم من الملك الاردني، رئيس وزراء دولة اسلامية عربية، ووفقا للمعلومات التي وجدت في أيدينا «معاريف»، فان الحديث يدور عن رئيس وزراء البحرين (ومع ذلك لا يوجد أي تأكيد رسمي لذلك).

من الأفضل أن ننظم الموضوع على نحو آخر: اتصالات مع السعودية، توجد، وطوال الوقت. واثناء الحرب كانت في ذروتها. وهي باستمرار موجودة وبطرق مختلفة وسرية، وسفراء وموفدون يلتقون مع بعضهم البعض، وللأمير بندر بن سلطان بصورة محددة فقد التقى مع كثير من الاسرائيليين الأثرياء (مثل ايهود اولمرت نفسه)، وبن سلطان التقى ايضا خلال عشرات السنين مع اسرائيليين من كل المستويات. وكان أحد الوسطاء بين الامريكيين والليبيين بخصوص الاتفاق التاريخي الذي تم التوصل اليه بين الطرفين، واللقاء بين جورج تينيت وموفد الرئيس القذافي الذي جرى في بيته في لندن، كان في ذروة تلك اللقاءات التي أنهت النزاع التاريخي بين الدولتين.

كذلك الاتصالات بين اسرائيل ودول الخليج العربي قديمة، وما زالت مستمرة، قبل الحرب واثناءها وبعدها، مبعوثون اسرائيليون يسافرون الى هناك، وأمراء من هناك يمرون في طريق سفرهم عبر اسرائيل ويرتاحون ويجرون محادثات قبل أن يسافروا الى الدول التي يريدونها. وجميعهم يشتكون الى اسرائيل من تعاظم القوة الايرانية، ومن ناحية السعودية ودول الخليج، فان الذرة الايرانية تشكل التهديد والخوف الدائمين لهم. وبين الجانبين يوجد نوع من التنسيق التام ومنذ زمن طويل، ومن هنا فان اللقاءات لا يمكن أن تكون جديدة، كما يصفها البعض، أو أنها حدثت فجأة، لأن هذا مسار مستمر ومتواصل منذ وقت طويل.

في البرقية التي أرسلها السفير لدى الامم المتحدة داني غيلرمان الى وزارة الخارجية هذا الاسبوع، فان ظاهرة واضحة فيها تظهر بصورة جلية «اتحاد الدول المعتدلة»، هكذا يطلق غيلرمان على مجموعة من الدول العربية التي أخذت تبلور مواقف واضحة وباتجاه واحد. والحديث هو عن مصر، الاردن، السعودية، البحرين، قطر، عمان وجميع الامارات العربية الاخرى التي يمكن أن يضاف اليها فيما بعد المغرب وتونس واندونيسيا، ومصادر اخرى تقول ان هناك في العالم الاسلامي والعربي دولاً اخرى ترغب في الانضمام الى هذا الاتحاد. وهذه الدول معنية، وليس للمرة الاولى، بأن تساند بعضها البعض وتتجه بضغطها الى ضرورة اعادة الاهتمام الى المسار الاسرائيلي الفلسطيني واخراجه من هذا المستنقع الذي غرق فيه. وأن تنهي هذه الازمة من هنا ونهائيا، وأن تهدىء الشارع العربي الثائر نتيجة لما يحدث هنا يوميا.

في القدس ما زالوا ينتظرون حتى الآن، وفي أعقاب الاتصالات التي أجراها اولمرت وآخرون مع أطراف عربية، امكانية حدوث تغيير في المبادرة العربية، الى درجة تخفيض سقف البند الخاص بحق العودة (وذلك باتفاق مع اسرائيل) وعدم الرجوع التام الى حدود 1967 (مع امكانية تبادل الاراضي بين الجانبين). واذا ما حدث ذلك، فاننا نتحدث عن انقلاب حقيقي في الوضع السياسي في المنطقة. واذا ما حدث ذلك ايضا، فانه يمكن التحدث، وللمرة الاولى، عن تسوية حقيقية وعن مفاوضات سرية سوف توصل الى استغلالها من جانب الفلسطينيين لكي يوافقوا عليها ايضا، لكن ذلك لم يحدث حتى الآن، ومن المشكوك فيه أن يكون اولمرت، في اتصالاته الأخيرة ومواقفه المتكررة، مؤهلاً ليرفع مستوى الاتصالات الى هذا الدرجة.

ما الذي حدث اذن؟ في يوم الاربعاء الماضي، حدث هناك لقاء هام، سري، بين مبعوث خاص من قبل رئيس اندونيسيا ورئيس الوزراء، في القدس. والموضوع كان هو مشاركة اندونيسيا بالقوة المتعددة الجنسيات في جنوب لبنان. لكن اسرائيل طلبت مقابل مشاركة اندونيسيا أن تحصل على انجاز معين وهو فتح مكتب ارتباط أو الاعلان عن علاقات دبلوماسية متبادلة بين الدولتين، ويبدو أن اندونيسيا اكتفت بارسال هذا المبعوث ولم توافق على مطلب اسرائيل، وبذلك نكون خسرنا احتمال اقامة علاقة جديدة مع دولة اسلامية.

سياسة الجنرال حلوتس

تعيين الجنرال غادي آيزنكوت قائدا للمنطقة الشمالية يعتبر انجازا للوزير بيرتس، وزير الدفاع وصل في الاسبوع الماضي في نهاية الأمر الى احراز نقطة جيدة في سياسته بالنسبة للقيادة العسكرية الاسرائيلية. ومن هنا يمكن الاعتقاد بأنه لن يتراجع فيما بعد. والآن فقد بدأ يُظهر دلالات أولية على أنه يعمل جديا في المسار الذي يريده، وهو بالتحديد المسار السوري. فهو يتفحص، ويرسل الملاحظات الواضحة التي يحاول من خلالها اقناع من حوله، ولذلك فقد أصر على تعيين آيزنكوت وفاز بذلك. رئيس القيادة الجديد العميد مايك هرتسوغ هو الذي طُلب منه اعادة تنظيم الجهاز والمؤسسة العسكرية بصورة جذرية، والتنسيق بين المدير العام للوزارة وبين رئاسة الاركان أخذ يسير في مسار جديد لا سلطة لرئيس الاركان عليه، بل على العكس أصبح رهن أمر وزير الدفاع فقط.

الشيء الذي يمكن أن يُقال حول العلاقات بين رئيس الاركان ورئيس جهاز «الشاباك»، هو ان دان حلوتس ويوفال ديسكن لا يتبادلان الحديث مطلقا فيما بينهما وأن توترا كبيرا يسود العلاقة، وتجاهلا متبادلا، بدأ ذلك في مسألة اختطاف الجندي شليط، حيث أن ديسكن صرخ في وجه الذي يعالج هذا الموضوع (وهو مبعوث من قبل حلوتس) وأصر على أن الطريقة التي عالجوا فيها هذا الموضوع، زيادة الضغط العسكري على غزة واستمرار الضرب لا يؤدي الى النتيجة المطلوبة، وأن الجيش الاسرائيلي يتجاهل النصائح والأهداف التي يُعينها ويُقدمها «لجيش وقوات حلوتس» التي تنفذ التعليمات التي تصدر عن رئاسة الاركان متجاهلة القدرة الكبيرة للمخابرات العامة التي يمكنها أن تفيد الاسلحة المختلفة في الجيش دون هذه الضجة التي تحدثها الضربات العسكرية محليا وعالميا.

يمكن القول ان تعيين آيزنكوت يعتبر نجاحا وخطوة في الاتجاه الصحيح. وان يوآف غلنيت، قائد المنطقة الجنوبية، يصارع الآن حيث أنه جديد في القيادة من اجل الحفاظ على قدرته، ولذلك فانه يعتقد بأن الطريق الصحيح تمر (في الأساس عبر حماس). غلنيت ربما يكون فيما بعد في القيادة الشمالية، ولكن من المنتظر ان تتمخض هذه التنقلات ليس فقط عن ترتيبات في القيادة العسكرية وفي الاركان بل ايضا سيكون لها مغزى سياسي باتجاه المحادثات المنتظرة مع الفلسطينيين، أو باتجاه محاولات المغازلة من بعيد بين سورية واسرائيل.

ماذا يمكن أن يحدث في نهاية الأمر؟ هناك تحركات سياسية، واخرى داخل المؤسسة العسكرية، اذا كانت هذه التحركات تتجانس فيما بينها، واحداها تساند الاخرى في المسار النهائي المطلوب في تحقيق الوضع، سواء على صعيد المحادثات السياسية «المفاوضات المرتقبة»، أو على صعيد الترتيبات العسكرية اللازمة التي سبق وأن تمت الاشارة اليها أعلاه بعد أن لوحظ التصعيد لدى الجانب السوري في مسألة ترتيباته العسكرية ورفع مستوى استعداده وما تعنيه هذه الأمور متحدة في إشعار الاسرائيليين (على المستويين السياسي والعسكري) من ضرورة الانتباه اليها وتوقع حدوث كل شيء ما لم تبادر القيادة السياسية بتفهم الوضع الحالي الذي أفرزته الحرب اللبنانية الثانية، والتي أشعرت السوريين كما سبق وقلنا بأنهم لن يخسروا الكثير اذا ما حاولوا الدخول في مقارعة عسكرية مع اسرائيل التي يعتقدون بأن جيشها هو ايضا مصاب بنوع من الترهل في الوقت الذي انتعش فيه الجيش السوري مؤخرا بالقدرة التسليحية التي لديه وعلى كل المستويات.

تجمع للهواة

في هذا الاسبوع قدم مراقب الدولة تقريره الخاص حول مجلس الأمن القومي. ففي دولة طبيعية فان المقطع الذي يفتتح به التقرير والذي قُدم في رسالة وجهت يوم السبت الماضي، فان هذا موضوع لا يغلق أبدا. هذا هو التقرير الخامس عشر الذي يقدمه لندنشتراوس في السنة الأخيرة. فمن جهة، فان السؤال يطرح أي قدرة وطاقة يحتاجها هذا المراقب الآن. ومن جهة اخرى فان الحديث يدور عن أحد التقارير الأكثر أهمية التي ظهرت في الآونة الأخيرة. وتتضح من هذا التقرير أمور كثيرة وفي اماكن كثيرة ايضا وخلال سنوات، كيف وصل وضع هذه الدولة وكيف تمكنت من الحفاظ على نفسها، وكيف أصبح مصير هذه الدولة ومواطنيها في أيدي مجموعة من الهواة الذين تجمعوا صدفة، وفي نفس الوقت أظهرت الأحداث الأكثر أهمية في تاريخ الدولة كيف أن هؤلاء، وبينهم رئيس الحكومة الذي يتحدث باستمرار عن الوعود والوعود المتكررة، كيف انهم باتوا على رأس هرم هذه الدولة، ولا أحد يعرف كيف سيكون مصيرها.

ماذا أرادوا في نهاية الأمر؟ لا بد أن نستمع وللحظات معينة الى ما يقوله الجنرال غيورا آيلاند، فهو شخص يستحق الاعتبار، صاحب تجربة، منطقي وعقلاني ليست له أي مصلحة شخصية، وأن نفهم ما يقوله هذا الانسان. هو يطالب بوجود قيادة منظمة كما كان الأمر عليه قبل أكثر من عشر سنوات، وأن تكون مكونة من أكثر من رجل يتصرف بمفرده، بل أن تكون من عشرات الرجال المجربين القادرين الذين يمكنهم أن يفكروا معا وينظموا ويخططوا، لا أن تتركز الأمور في يد شخص واحد مهما كانت تجربته ومكانته، لأن العقل الجماعي المدعوم بالتجربة الجماعية هو الذي يحقق الانجاز للدولة ووفقا للمسار الذي يريده المستوى السياسي في الدولة.

أما عندنا؟ فهذا كله موجود. ولكنه في نفس الوقت غير موجود. الاشخاص موجودون، والتنظيم موجود، والكفاءات موجودة لكنها لا تعمل لان هناك من أقام مسارات ضيقة وملتوية داخل المسار الواحد الرئيسي، مثلا، نرى أن «السكرتير العسكري لرئيس الحكومة»، قد انقلب فجأة الى عملاق عسكري سياسي يقدم التوصيات ويشرح القرارات العسكرية التي في بعض الاحيان تأكدت أنها لا علاقة لها بما تفكر به القيادة العسكرية نفسها. فهو اذا كان مدربا ومؤهلا وخدم لسنوات طويلة في القيادة العسكرية الاسرائيلية، فان هذا لا يعني أن يصمم هذا المسار الضيق الملتوي ويقنع به رئيس الحكومة باتجاه، ويمنع عن القيادة العسكرية معرفة ما يفكر به رئيس الحكومة من الاتجاه الآخر، فهو يفكر بدل الآخرين ويعمل مكانهم.

لم تكن هناك قيادة حقيقية لرئيس الحكومة الذي يفترض به أن يقف بجدية ويعلن بجرأة بأنه يركز ويكرس كل وقته لدعم التغييرات الفورية اللازمة في طريقة النظام في اسرائيل بعد هذه الأحداث الكثيرة التي عمت الدولة على جميع الأصعدة: السياسية، العسكرية، الداخلية، على المستوى الفلسطيني الاسرائيلي، على المستوى الاسرائيلي السوري. كذلك لا بد لرئيس الحكومة أن يتجرأ ويطرح موقفه ويقول رأيه ويستمع الى النصائح القانونية بخصوص الموضوع الأخير الذي أخذ الجميع يتحدث عنه إلا رئيس الحكومة، وهو موضوع سن قانون جديد بخصوص طبيعة النظام الرئاسي في اسرائيل، وأن يبلور اقتراحا، اذا لم يكن رأيا نهائيا، ويطرحه داخل المستوى الذي يعمل به (الحكومة بكامل هيئتها) لأن رئيس الحكومة